الفصل العاشر

العطاء الإسلامي في مجال المنهج

المنهج التجريبي إفراز العقل المسلم

١- إبداع المسلمين للمنهج العلمي التجريبي

٢- مذاهب المسلمين في العلة

٣- مسالك العلة

٤- عبقرية العقل المسلم في إبداع المنهج الاستقرائي

إبداع المسلمين للمنهج العلمي التجريبي

يجد المتصفح لكتب المناهج وطرق البحث أن الذي قنن للمنهج العلمي هم الأوروبيون مثل (جون ستيوارن مل) و (فرانسيس بيكون) و (روجر بيكون) وغيرهم. لكن المنصفين من مؤرخي العلم، يؤكدون أن المنهج العلمي التجريبي إنما هو إفراز العقل المسلم من خلال مسارين منهجين هما:

الأول: انطلاق علماء المسلمين تحت تأثير أوامر وتوجيهات القرآن الكريم التي ذكرنا بعضها، إلى البحث في الكون والمنهج والتاريخ والإنسان. وسجلوا خطوات تفكيرهم العلمي، فكانت هي المنهج العلمي التجريبي. هذه الدراسات – مثل دراسة جابر بن حيان (٢٢٢) ودراسة ابن الهيثم، والإدريس وغيرهم هي التي عرفت فيما بعد بالمنهج التجريبي، بعد أن ترجمت أعمالهم إلى اللاتينية وغيرها من لغات، واطلع عليها (مل) و (بيكون) وغيرهم. فهؤلاء الأوروبيون إنما أخذوا هذه الخطوات الفكرية والبحثية المتصلة بطرق البحث عن علماء المسلمين.

الثاني: مباحث الاستدلال الإسلامية أو أدلة العقول وهي القسم الثاني من المنطق الإسلامي.

فعلماء المسلمين سواء علماء أصول الفقه أو علماء أصول الدين والمتكلمون لم يقبلوا المنطق الأوسطي، وصاغوا نوعا جديداً من المنطق يخالف المنطق الصوري أو الشكلي الذي أبدعه الإغريق

---

(٢٢٢) راجع دراسة جابر بن حيان لزكي نجيب محمود – أعلام الفكر العربي،،، وراجع دراسة مصطفى السباعي: من معالم حضارتنا،،، ودراسة الخوارزمي بعنوان مفاتيح العلوم،،، ودراسة على سامي في النشار بعنون (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام).

القدماء (٢٢٣) وهذا المنطق الجديد هو القياس الأصولي. ويلخص على سامي النشار أوجه الخلاف بين القياس الأصولي والتمثيل الأسطاليس في عدة أمور هما:

١) أن المتكلمين جميعاً وكثيراً من الأصوليين قبل عصر الغزالي اعتبروا أن القياس الأصولي أو قياس الغائب على الشاهد موصلاً إلى اليقين، وهذا ما ناقشه بتفصيل كل من ابن تيمية، وصاحب سلم بحر العلوم (٢٢٤) أما التمثيل الأرسطاليس فلا يفيد إلا الظن.

٢) أرجع الأصوليون القياس إلى نوع من الاستقراء العلمي الدقيق القائم على فكرتين أو قانونين وهما:

أ) فكرة أو قانون العلية، وتتلخص في أن لكل معلول علة، وهذا معناه كما يقول (الزركشي): (أن الحكم ثبت في الأصل لعلة كذا) فحكم التحريم في الخمر معلول بالإسكار (٢٢٥).

ب) قانون الاطراد في وقوع الحوادث. وهذا القانون يشير إلى أن العلة الواحدة إذا وجدت تحت ظروف متشابهة، أنتجت معلولاً أو نتيجة متشابهة. وفي هذا يقول (الزركشي) (إن العلة – علة الأصل – إذا وجدت في الفرع أنتجت نفس المعلول. فإذا كنا قد وجدنا الإسكار في الخمر وجدنا التحريم. ثم وجدنا الإسكار في أي شراب آخر، جزمنا بوجود التحريم فيه(٢٢٦) فهناك إذن نظام في الأشياء، واطراد في وقوع الحوادث.

يؤكد(النشار) أن المسلمين أقاموا القياس الأصولي على الفكرتين اللتين أقام (جون ستيوارت مل) استقراءه العلمي عليها. وهما قانون العلية، أي أن لكل معلول علة، وقانون الاطراد في وقوع الحوادث، ويعني الاطراد أنه إذا كان الاستقراء يستطيع أن يصل إلى العلاقات الثابتة الكلية، أو بمعنى أدق إلى القانون الطبيعي، فذلك لأنه يستند على اعتقاد أن أحداث الطبيعة متناسقة Nature is Uniform ويمكن تعريف الاستقراء عند مل، بأننا نستنتج من عدة حالات معينة

---

(٢٢٣) راجع: ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال (طبعة القاهرة) وراجع ابن النديم (الفهرست) وراجع ابن تيمية (الرد على المنطقيين): وراجع دراسة مهمة قام بها على سامي في النشار: مناهج البحث في العالم الإسلامي دار المعارف ١٩٦٥ صـ ١٠٣ وما بعدها .

(٢٢٤) على سامي النشار: المصدر السابق صـ ١٠٤ .

(٢٢٥) راجع الزركشي البحر المحيط جـ ٥ صـ ١٢٥ مذكور في على سامي النشار المصدر السابق صـ ١٠٥ .

(٢٢٦) الزركشي: المصدر السابق – في النشار: مصدر سابق صـ ١٠٥ .

لظاهرة من الظواهر، أن هذه الظاهرة تحدث في كل حالة تشبه هذه الحالة أو الحالات المدروسة في ناحية من النواحي (٢٢٧) وهذا يعني الجزم بوجود النظام في العالم.

وهذا القول للأصوليين يفيد أن حوادث الطبيعة (كما خلقها الله) مطردة، وأن الله حكم الكون بقوانين عامة، وأن العلة الواحدة تحدث تحت ظروف مماثلة نفس المعلول. وقد ذهب مل إلى أننا إذا ما حاولنا إرجاع الاستقراء إلى نوع من القياس، فإننا نجد أن مبدأ الاطراد في وقوع الحوادث يكون هو المقدمة الكبرى النهائية لكل الاستقراءات (٢٢٨) كل هذه يعني أن الأصوليين المسلمين سبقوا (مل)، و (بيكون) وغيرهم من المفكرين، في إقامة الاستقراء على قانوني:

أ) العلية ب) الاطراد في ظواهر الكون

وفي رد القياس الأصولي إلى نوع من الاستقراء العلمي. ولعل اعتماد أو انطلاق القياس الأصولي على هذين القانونين يجعله مختلفاً اختلافا جوهرياً عن القياس الارسطاليسي، ومخالفا له. وحتى بالنسبة لتصنيف القياس عند المسلمين، فإننا نجد أن المناطقة المحدثين قد ناقشوا تصنيفات القياس عند المسلمين.

أ- قياس يقوم على وجود بعض الشبه في الصفات العرضية. فالبعض يرى أن القياس يصح إذا وجدت بعض الصفات العرضية في ظاهرتين أو واقعتين. لكن هذا القياس ظني لا يؤخذ في البحث العلمي.

ب- معظم الأصوليين يشترطون وجود العلة في الأصل والفرع معاً. وبهذا يكون القياس الأصولي الذي يتوصل إليه علماء المسلمين قديماً، متفقاً مع الاستقراء العلمي الحديث الذي توصل إليه الأوروبيون بعد مئات السنين، في إقرار أمرين (٢٢٩) .

أ- قانون التعليل أو قانون العلية العامة Law of Universal Causation

ب- قانون الاطراد في وقوع الحوادث Law of the Uniformity of Nature

---

(٢٢٧) على سامي النشار: مصدر سابق صـ ١٠٥ .

(٢٢٨) للمزيد من المعلومات حول هذه النقطة يمكن الرجوع إلى أساتذة المناهج المعاصرين مثل
. Cohen and Nagel: An Introduction to logic and scientific Method
وراجع النشار: صـ ١٠٦ .

(٢٢٩) على سامي النشار: المصدر السابق صـ ١٠٧ .

والأصوليون لم يكتفوا بهذا، ذلك أنهم اشترطوا وجود طرق لإثبات العلة، فالعلة هي الصفات التي يستند إليها الحكم. وكما يقول النشار (وفي هذه الناحية ابتدع المسلمون طرقاً أو مسالك لإثبات العلة توازي طرق الاستقراء التي وضعها المحدثون لتحقيق الفروض. وسبقوا الأوروبيين بقرون طوال إلى التوصل إلى قوانين الاستقراء نفسها، لا عند جون ستيوارت مل فحسب، بل وصلوا أيضاً إلى بعض الطرق التي وضعها علماء المنطق المحدثون [٢٣٠] وقد فصلت كتب الأصول مباحث العلة في أربعة أقسام وهي[٢٣١]:

أ) مذاهب المسلمين في العلة ب) شروطها .

جـ) مسالكها د) قوادحها

ولن نفصل في هذه المباحث، لأن موضعها هو كتب أصول الفقه ومباحثه. ولكن نكتفي هنا بإيجاز القول فيها.

١- مذاهب المسلمين في العلة:

أنقسم المسلمون إلى قسمين المعتزلة والأشاعرة. أما المعتزلة فيرون أن العلة وصف ذاتي لا يتوقف على جعل جاعل فهي مؤثرة بذاتها. أما الأشاعرة فلم يقبلوا هذا الفهم للعلة، فهي عندهم الموجبة للحكم بجعل الشارع [٢٣٢] فالعلة ليست هي المؤثرة بذاتها ولكن التأثير يرجع إلى خلق الله وقدرته. لكن المذهبين يتفقان في أن التعليل هو أساس القياس الاستقرائي إن صح التعبير [٢٣٣] وبهذا يكون المسلمون سبقوا المفكرين الغربيين في القول أن العلية هي الأساس الذي تبني عليها نظرية الاستقراء كلها.

٢- شروط العلة: هناك مجموعة من الشروط الواجب توافرها في العلة عند الأصوليين لكنهم اختلفوا في تحديد هذه الشروط. ولن نناقش هنا أوجه الاختلاف بين الأصوليين، لكن الأهم أنهم اتفقوا على مجموعة من العناصر المنطقية الواجب توافرها في العلة، أهمها:- [٢٣٤]

---

(٢٣٠) المصدر السابق نفس الصفحة

(٢٣١) لمزيد من التفصيل حول مباحث العلة،،، راجع البحر المحيط للزركشي،،، وراجع على سامي النشار صـ ١٠٨ - ١٢٧ .

(٢٣٢) راجع الزركشي - البحر المحيط . جـ ٥ صـ ١٤٤ - ١٤٦ .

(٢٣٣) النشار: مصدر سابق صـ ١٠٩ .

(٢٣٤) هذه الشروط مذكورة في دراسة النشار السابق الإشارة إليها صـ ١١٠ - ١١٢،،، ومذكورة بتفصيل أكبر في دراسة الزركشي السابق الإشارة إليها الجزء الخامس صـ ١٥٥ وما بعدها . ويمكن في هذا

أ) أن تكون العلة مؤثرة في الحكم المعلول لها، فإذا انتفي هذا التأثير خرجت عن كونها علة.

ب) أن تكون العلة وصفا منضبطاً غير مضطرب (أي أن يكون تأثيرها لحكمة مقصودة ظـاهرة جلية لا لحكمة مجردة لخفائها).

جـ) أن تكون العلة مطردة، بمعنى أنه كلما وجدت العلة في صورة من الصور، وجد الحكـم. وهذا يعني أن العلة تدور مع الحكم وجوداً- كلما ظهرت العلة، جاء الحكم - مثال هـذا تعليـل حرمان القاتل من الميراث فقد استعجل غرضه قبل أوانه فعوقب بحرمانه. وهذا هو ما عبر عنه (جون ستيوارت مل) بطريقة التلازم في الوقوع the method of Agreement فإذا وجدت العلة - وجد المعلول[٢٣٥].

د) أن تكون العلة منعكسة أي (كلما انتفت العلة انتفى الحكم) أي أن العلة تدور مع الحكـم عدماً، فكلما اختفت اختفى. وهذا يعني عدم تعليل الحكم بعلتين، لأنه إذا كان للحكم أكثـر مـن علة، لم يؤد انتفاء العلة إلى انتفاء الحكم لوجود علة أخرى (مثل تعليل حرمـة النكـاح بالقرابـة والمصاهرة والرضاع). ولعل هذا هو نفس الشرط الذي كرره (جون ستيوارت مل) فيما أطلق عليه طريق التخلف في الوقوع Method of Difference [٢٣٦]

٣- مسالك العلة

هذه المسالك تتضمن عناصر منطقية سبق إليها المسلمون كل المحدثين من علماء المناهج وطـرق البحث، وكانت إبداعاً أسهم به المسلمون في ظهور كل المعارف في العلوم التجريبية الـتي أفـرزت النهضة العلمية في العالم الإسلامي، والتي كانت العامل الرئيس للنهضة الأوروبية.

ولشرح فكرة مسالك العلة يقول (النشار) (لا يكفي في القياس الأصولي بمجرد وجود الجـامع بين الأصل والفرع، ولا باستناد هذا القياس إلى قانون التعليل والاطراد، ولا بوضع شروط خاصـة للعلة، بل لابد من قوانين تحقق وجود الجامع بين الأصل والفرع. وقد تعـارف الأصـوليون علـى تسمية هذه الأدلة بالمسالك) [٢٣٧]

مراجعة الشوكاني في دراسة له بعنوان (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) صـ ١٩٣ ومـا بعدها .

(٢٣٥) يمكن الرجوع إلى دراسة (جون ستيوارت مل Mill) بعنوان A system of logic صـادر في لندن سنة ١٩٢٩ - راجع الفصل السابع صـ ٢٥٥ وما بعدها - وراجع النشار صـ ١١١ .

(٢٣٦) مذكوره في كتاب Mill السابق ذكره صـ ٢٥٦ ومذكور في النشار: مصدر سابق صـ ١١٢ .

(٢٣٧) راجع النشار: مصدر سابق صـ ١١٣ .

ويصنف الأصوليون المسالك أو الأدلة إلى قسمين:

أ) الأدلة النقلية: وهي النص (الكتاب والسنة) والإجماع وفعل الرسول عليه الصلاة والسلام.

ب) الأدلة العقلية: وهي السبر والتقسيم، والمناسبة والشبه، والطرد، والدوران، وتنقيح المناط ثم طرق أخرى ضعيفة [٢٣٨]

ولن نفصل في الأدلة النقلية فلها رجالها وعلماؤها، وتخرج بنا عن موضوع دراستنا الحالية، وسنوجز هنا بعض الأدلة أو المسالك من القسم الثاني.

المسلك الأول:_ السبر والتقسيم

ويشير هذا المسلك عند صاحب البرهان (أمام الحرمين) (أن يبحث الناظر عن معان مجتمعة في الأصل، ويتتبعها واحدا واحداً، ويبين خروج آحادها عن صلاح التعليل به إلا واحداً يراه ويرضاه) [٢٣٩] وهناك إذن عمليات

الأولى:_هي حصر الأوصاف التي توجد في الأصل والتي تصلح للعلية، ثم.

والثانية:_ إبطال ما لا يصلح منها، فيتعين الباقي للعلية. وبعض الباحثين يطلق العملية الأولى وهي الحصر على التقسيم، ويطلق السبر على الأبطال. وبعض الباحثين لا يميز بين السبر والتقسيم، فهما معاً يطلقان على عمليتي الحصر والإبطال معاً [٢٤٠] وقد اختلف العلماء، فهناك الباقلاني، والغزالي مثلا يعتبرون أن السبر والتقسيم من أقوى الأدلة في إثبات العلة. وهناك من الأصوليين من لا يعتبر السبر والتقسيم دليل واضح في إثبات العلة ولكنها شرط دليل.

والتعمق أو التفصيل في هذا يخرج بنا عن موضوع دراستنا الحالية.

المسلك الثاني:_ [٢٤١]

ويقصد الأصوليون بالطرد مقارنة الوصف للحكم في الوجود دون العدم، بشرط أن تكون هذه المقارنة من جميع الصور، ما عدا الصورة المتنازع فيها، أي صورة الفرع الذي يراد ثبوت الحكم له لوجود ذلك الوصف فيه. وهذا يعني أن هذا الوصف الطردي هو علة هذا الحكم. لكن بعض علماء

---

(٢٣٨) المصدر السابق صـ ١١٣،،، ولمزيد من التفصيل يوصى بالرجوع إلى مخطوطة لإمام الحرمين بعنوان (البرهان)

(٢٣٩) نص في كتاب البرهان لإمام الحرمين مذكور في النشار: مصدر سابق صـ ١١٤ ،

(٢٤٠) التفاصيل في البرهان لإمام الحرمين جـ٢ السبر والتقسيم .

(٢٤١) النشار: المصدر السابق صـ ١١٩ .

الأصول يرى أن الوصف الطردي قاصر، لأنه يقارن الحكم في صورة واحدة لا في جميـــع صـــوره. وهذا التوجه الأخير يغير المسلك من أن يكون طرداً إلى أن يكون دوراناً ويخلط بعض الأصوليين بين الطرد والدوران، والفرق بينهما أن الدوران هو مقارنة الوصف للحكم وجوداً وعدما، أما الطـــرد فإن مقارنته وجوداً فقط.

المسلك الثالث:- الدوران [٢٤٢] ويعني دوران العلة مع المعلول وجوداً وعدما، وأحيانا يعبر عنه الأصوليون (بالجريان) أو (الطرد والعكس). وقد انقسم الأصوليون إلى عدة أقسام – الأول يري أن الدوران يفيد اليقين، والثاني ويمثله معظم الأشاعرة فيرون أن الدوران يؤدي إلى الظن مهما كثـــرت التجارب، والثالث يرى أن الدوران شرط في صحة العلية وليس دليلاً على صحتها. والرابع يـــرى أن الدوران لا يدل على العلية، ولهم في هذا أدلتهم المنطقية والعقلية [٢٤٣] وهذا المسلك (الدوران) هو الذي أخذه (مل) تحت اسم (التلازم في الوقوع والتخلف)

Joint Method of Agreement and Difference

وصيغته ببساطة: إذا وجدت العلة وجد المعلول أو الحكم، وإذا غابت العلة غـــاب المعلـــول أو الحكم.

المسلك الرابع: تنقيح المناط

وهذا المصطلح يشرحه (الزركشي) في البحر المحيط بقوله: إن التنقيح في اللغة هـــو التهـــذيب والتمييز، والمناط هو العلة. هذا على المستوى اللغوي. أما على المـــستوى الاصـــطلاحي، فيقـــول (السبكي) إن تنقيح المناط هو (أن يدل نص الظاهر على التعليل بوصف، فيحذف خـــصوصه عـــن الاعتبار، ويناط الحكم بالأعم، أو تكون أوصافه في محل الحكم، فيحذف بعـــضها عـــن الاعتبـــار بالاجتهاد، ويناط الحكم بالباقي) [٢٤٤] فهذا المسلك يتضمن عمليتين، الأولى هي الحذف والثانية هي التعيين.

---

(٢٤٢) المصدر السابق صـــ ١٢٠ .

(٢٤٣) للراغب في التفصيل والتعميق يرجع إلى دراسات إمام الحرمين،،، وإلى الزركشي،،، وإلى على ســـامي النشار: صـــ ١٢١ – ١٢٣ .

(٢٤٤) النشار: مصدر سابق صـــ ١٢٥ .

عبقرية العقل المسلم في إبداع المنهج الاستقرائي

هكذا يتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن علماء المسلمين الذين انطلقوا في البحث والدراسة في العلوم الإسلامية، والعلوم الكونية والاجتماعية والتاريخية، تحت تأثير أوامر وتوجيهات القرآن والسنة، قد توصلوا ليس فقط للبحث في علوم الكون، أو حتى استحداث علوم تجريبية جديدة، أو حتى إبداع فكر علمي تطبيقي ومنطقي، ولكن الأهم من كل ذلك تقنين العقل المسلم للمناهج وطرق البحث، وتوصلهم إلى المنهج الاستقرائي Inductive Method، أو حتى كما يطلق عليه (كارل بوبر) المنهج الفرض الاستنباطي Hypothetic Deductive Method[٢٤٥]، وقد أسس المسلمون أهم مناهج وطرق البحث عندهم سواء في العلوم الشرعية أو العلوم التجريبية على قانونين طبيعيين، هما قانون العلية، وقانون الاطراد في وقوع الحوادث، ثم اشترطوا للعلة شروطا، ووضعوا لها مسالك، كانت هي الأساس الذي انطلق منه (مل) و (روجر بيكون) و (فرانسيس بيكون) (وهم عباقرة تقنين المنهج العلمي في الغرب) وذلك بعد أن ترجمت علوم المسلمين إلى اللاتينية واطلع عليها مفكروا الغرب، فكانت واحدة من أهم عوامل قيام النهضة الأوروبية[٢٤٦]، ولا شك أن المنهج الاستقرائي الذي أبدعه العقل المسلم هو الأساس في كل أنواع العلوم والتقنيات التي قامت عليها الحضارة المعاصرة التي نعيشها اليوم والسبب في هذا أمران

أ) توجيهات وأوامر القرآن الكريم في إعلاء قدر العقل الإنساني وتفعيله مع الحواس الإنسانية للوصول إلى السنن الحاكمة للكون والإنسان والتاريخ والمجتمع، لدرجة أن المصادر الإسلامية تحيل العلم وطلبه إلى فريضة، وتحيل التفكير العقلي القائم على البرهان والحجة إلى فريضة[٢٤٧]

ب) إبداعات علماء أصول الفقه كما رأينا، فقد وضعوا مسالك ومباحث سبقوا بها المحدثين في وضعهم لقوانين المنطق الاستقرائي، واستحداث القياس الأصولي على أساس التجربة، وقد نظر الكثير من علماء المسلمين إلى التجربة على أنها يمكن أن يكون طريقاً لليقين[٢٤٨].

---

(٢٤٥) راجع: كارل بوبر: عقم المذهب التاريخي – مصدر سابق – الفصل الرابع صـ ٦٠ وما بعدها .

(٢٤٦) راجع مونتجمري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية – مذكور في الجزء الثاني من (الإسلام في عيون المنصفين) قضايا إسلامية – العدد ١٦٧ – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠٠٩ صـ٣٧ وما بعدها.

(٢٤٧) راجع كتاب العقاد. التفكير فريضة إسلامية وراجع دراسة لآمنة نصير بعنوان: لقاء الحضارات منشورة في كتاب (صور حضارية من عطاء الإسلام) إعداد لجنة التعريف بالإسلام. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سلسلة قضايا إسلامية العدد ٩٧ صـ ١٠٤ . وما بعدها

(٢٤٨) النشار صـ ١٢٧ .

هذه المناهج التي وصل إليها المسلمون، تختلف تماماً عن مناهج التفكير السابقة على الإبـداعات الإسلامية. فقد كانت عند الإغريق – مناهج صورية شكلية عقيمة تصدي لها علماء المسلمين بالنقد والتفنيد [٢٤٩] المناهج الاستقرائية والاستنباطية، بل والاستردادية التاريخية التي أرساها عبد الـرحمن ابن خلدون، إنما هي إبداع خالص للعقل المسلم. صحيح أن العرب استفادوا مـن حركـة النقـل والترجمة عن الحضارات السابقة كما أوضحنا بالتفصيل لكن كانت لهم إبداعاتهم الفريدة، ليس فقط على مستوى العلوم، وإنما– وهذا هو الأهم– على مستوى المنهج. فقد كانت الحضارات الـسابقة على الإسلام وفي مقدمتها الحضارة الإغريقية تجهل المناهج والطرق التجريبية، بل وقد كان الإغريق يميزون بين العمل العقلي والنظري والعمل اليدوي، وكانوا يعدون العمل العقلـي النظـري هـو الإشرف ويحتقرون العمل اليدوي و كل ما يتصل بالتجريب [٢٥٠]

يؤكد باحث في تاريخ العرب وهو (سيديو) في دراسة له بعنوان (تاريخ العرب)، أن (مـا يميـز مدرسة بغداد عن ما سواها، الروح العلمية التي سادت أعمالها، وبذلك المـضي مـن المعلـوم إلى المجهول، وملاحظة الظواهر بدقة لاستخلاص الأسباب من النتائج، كذلك عدم قبول الأشياء إلا ما كان منها ثابتاً بالتجربة. وكان العرب في القرن التاسع قد أصبحوا يملكون ذلك المنـهج العلمـي الخصب أو المثمر الذي كتب له بعد ذلك بزمن طويل أن يكون ذا فعالية في أحـداث اكتـشافاتهم العظيمة) [٢٥١]

وهذا المستشرق البارز (جيب) يثني على هذه الشهادة في إبداع المـسلمين للمنـهج العلمـي وللعلوم التجريبية التي كانت الأساس في النهضة الأوروبية بعد ذلك. يقول (جيـب): (اسـتطاع العلماء المسلمون بتركيز أفكارهم على الحوادث الفردية أن يطوروا المنهج العلمي إلى أبعد مما ذهب إليه أسلافهم في الإسكندرية أو اليونان، وإليهم يرجع الفضل في استخدام أو إعادة المنهج العلمي إلى أوروبا) [٢٥٢] ويذكر (لويجي رينالدي) في دراسة له عن المدينة في الغرب أنه (من فضل العرب علينـا

---

(٢٤٩) يحسن في هذا الرجوع إلى دراسات ابن تيمية،،، وهي متعددة ومتعمقة مثل (موافقة صـريح المعقـول لصحيح المنقول (طباعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ) نشره حامد الفقي . هذا إلى جانب مجموعـة الرسـائل الكبرى لابن تيمية (طباعة القاهرة)

(٢٥٠) عبد الكريم عثمان: مصدر سابق صـ ٢٩٦.

(٢٥١) يمكن في هذا الرجوع إلى (حيدر بامات) في دراسة له بعنوان (دور الإسلام في بناء المدنيـة الغربيـة) مذكور في دراسة عبد الكريم عثمان السابق الإشارة إليها صـ ٢٩٦ .

(٢٥٢) المصدر السابق .

أنهم هم الذين عرفونا بكثير من فلاسفة اليونان وكانت لهم الأيدي البيضاء على النهضة الفلسفية عند المسيحيين)[٢٥٣] وقد أشار (رينالدي) بشكل خاص على الدور الذي لعبه ابن رشد بعد ترجمته إلى اللاتينية واللغات الأوروبية، في نهضة أوروبا. فقد كان ابن رشد هو مبدع مذهب الفكر الحر، وصاحب عبارة تقول (تموت روحي بموت الفلسفة). وهذا (جون روبرتسون) في دراسة له بعنوان (تاريخ موجز للفكر الحر)، يؤكد (أن ابن رشد يعد أشهر مفكر مسلم، لأنه كان أعظم المفكرين المسلمين، وأبعدهم أثرا ونفوذا في التفكير الأوروبي). كذلك فإن لابن رشد فضل لا ينكر على روجر بيكون)، حيث استفاد منه الكثير، وذكره وأثنى عليه في كتابه اللاتيني (أبوس ما جوس) بقوله (إنه فيلسوف متين متعمق صحح الكثير من أخطاء الفكر الإنساني، وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة لا يستغنى عنها بسواها، وأدرك كثيراً مما لم يكن قبله معلوما لأحد، وأزال الكثير من الغموض عن الكتب التي تناولها بالبحث)[٢٥٤]

ويؤكد الدارسون ومؤرخوا العلم أن ارتباط الفكر والفلسفة الإسلامية بالبحث العلمي ساهم في إبداع المسلمين للمنهج التجريبي، وأثرى الحركة العلمية في جامعة أكسفورد. وقد اقتدى العديد من المفكرين الأوروبيين، مثل (البير الكبير) و (توماس الأكويني) و (دانز سكوت) بفلاسفة المسلمين وفي مقدمتهم ابن رشد، حيث حاولوا التوفيق بين الشريعة والحكمة أو بين العقل والنقل[٢٥٥].

وهناك العديد من مؤرخي العلم والمفكرين المنصفين، فدراسة (زيجريد هونكه) الباحثة الألمانية بعنوان (شمس العرب تسطع على الغرب)، واضحة من عنوانها حيث تؤكد بالوثائق أثر الحضارة العلمية والفكرية للعرب المسلمين في إحداث النقلة الحضارية في أوروبا. ويذكر (جوستاف لوبون) المفكر الفرنسي الشهير مقولة (ليبرى) ويؤكدها وهي (أنه لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة لعدة قرون)[٢٥٦] ونستطيع القول أن المسلمين كان لهم الفضل في إطلاق النهضة والحركة العلمية في أوربا من جهتين:

---

(٢٥٣) راجع المصادر السابقة،،، وراجع: آمنة نصير: مصدر سابق صـ ١٠٧ .

(٢٥٤) راجع نصير: مصدر سابق صـ ١٠٨ .

(٢٥٥) المصدر السابق صـ ١٠٩ وقد كان كتاب ابن رشد مصدر إلهام العديد من مفكري أوروبا هو: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال (راجع طبعة القاهرة) .

(٢٥٦) المصدر السابق صـ ١١٦ .

الأولى: أن المسلمين هم الذين احتفظوا بالتراث الإغريقي والروماني وهو تـــراث الأســـلاف في الغرب، بعد أن ضاع وفقد هذا التراث خلال العصور المظلمة وبعد أن ترجمه المـــسلمون للتعـــرف على تراث الإنسانية السابق على الإسلام. ولهذا فقد أخذ علماء عصر النهضة تراث أسلافهم مـــن المسلمين.

الثانية: إبداعات المسلمين للمنهج الاستقرائي والتجريبي، وإبداع مجموعة جديدة مـــن العلـــوم الإسلامية و الإنسانية والكونية والتاريخية، وانطلاق علماء المسلمين لكشف سنن الله الـــتي تحكـــم الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ، تحت تأثير توجيهات القرآن الكريم.

هذا ما يعترف به العديد من الشخصيات الكبرى في الغرب. فـــالأمير تـــشارلس يؤكـــد دور المسلمين في إطلاق الحضارة الغربية، وهذا (دوايت ايزنهاور) [٢٥٧] رئيس الولايات المتحدة الأســـبق يقول في خطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة (نذكر أن علمي الحساب والجـــبر في الغـــرب يدينان بالكثير لعلماء الرياضيات المسلمين، وأن الكثير من الأسس التي استند إليها علمـــاء الطـــب والفلك في العالم، قد وضعها علماء مسلمون. وفوق ذلك كله فالنذكر أن الأديان الثلاثة العظمى في العالم نزلت في الشرق الأدنى)[٢٥٨].

---

(٢٥٧) المصدر السابق صـــ ٩٨ .

(٢٥٨) خطاب ايزنهاور في فبراير ١٩٥٩ أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة – راجع (نصير) صـــ ٩٨ .